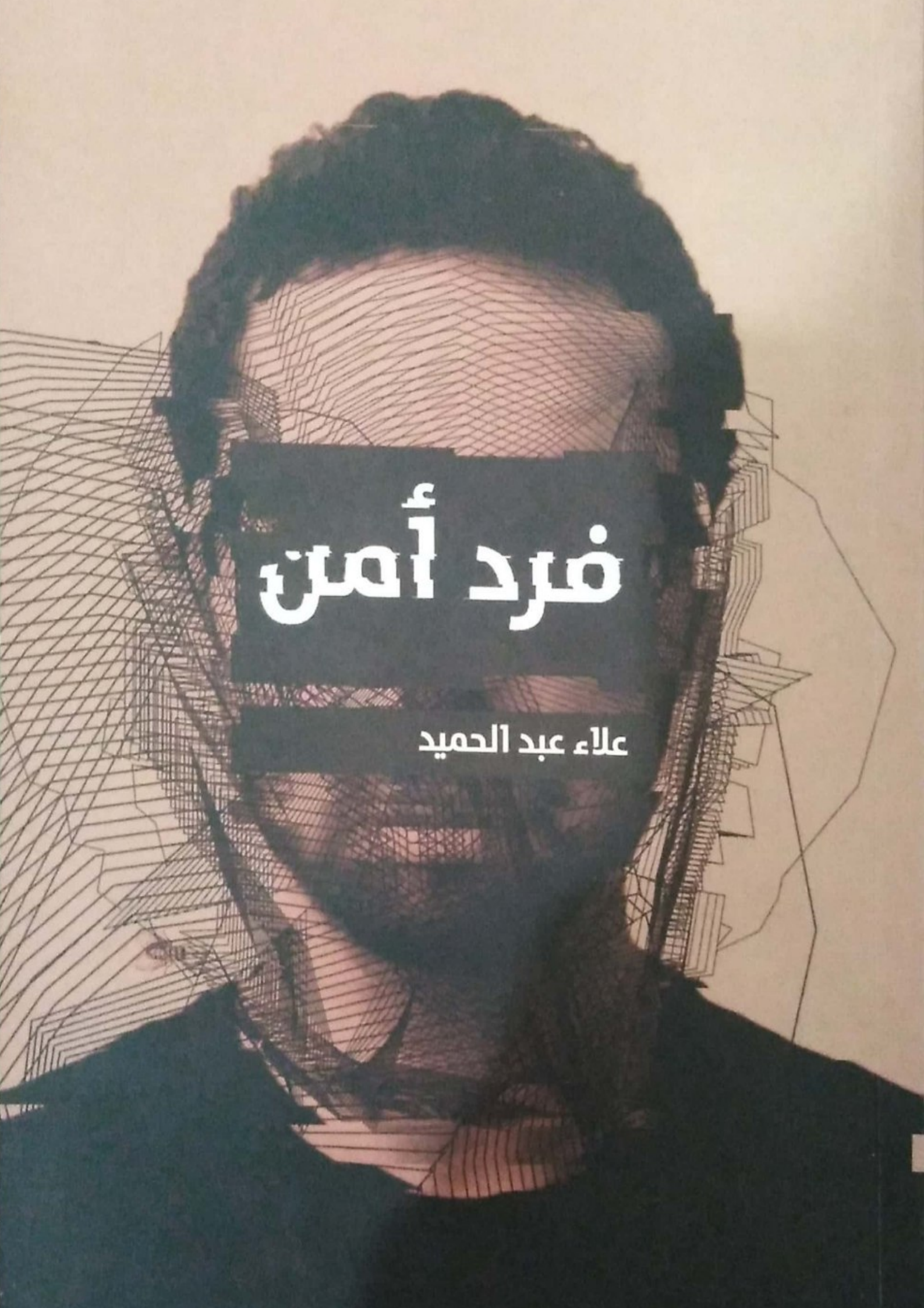
فرد أمن
علاء عبد الحميد

الأعمال الكامله
t.me/kotbhm

فرد أمن

Scanned by CamScanner

علاء عبد الحميد

فرد أمن

روايـة

دار ميريت
القاهرة ٢٠١١

Scanned by CamScanner

إهداء..

إلى أصدقاء الرحلة.. فهم كثيرون

علاء عبد الحميد

Scanned by CamScanner

- ها أنت تقفز للنهاية

- هلا حكيت من البداية

- ولمن أقول؟!

- هذى صفوف السنط والصبار تنصت للحكاية

- ألها عقول؟

- ماذا يضيرك..ألق ما فى القلب حتى للحجر

- أو ليس أحفظ للنقوش من البشر ؟!

نجيب سرور

Scanned by CamScanner

(١)

تدور الأرض الآن حول محورها بسرعة ٤٦٥ كيلو متراً فى الثانية، وحول الشمس بسرعة ٣٠ كيلومتراً فى الثانية.

يصاحب دورانها فى اعتقادى صوت ضخم لريح مهولة..ولكننا لا نشعر بهذه الدورانات.

وضعت جسدى على السرير واسترخيت، مددت ساق وثنيت الأخرى فى محاولة لإدراك حركة دوران الأرض.. أغمضت عينىّ وبدأت أستشعر ثقل جسدى والثبات الذى أنعم به.

تذكرت فجأه أن الله خلق الإنسان من طين وأن العلماء يقولون إن كوكب المريخ كان صالحاً للحياة فى يوم بعيد جدا، فكرت فى هذا كثيراً ووجدت أن الحياة على كوكب المريخ كانت ستصبح أمتع كثيراً منها على الأرض، كانت ستصبح كشكل الطين على كوكب المريخ عندما يتشكل ليصبح بشراً. واختلاف الأشكال أكيد، الاختلاف الأكيد بين طينة الأرض وطينة المريخ.

بدأت فى ملاحظة هذه الحياة من مكان ما لا أذكره، وكلما أرهقت ذهنى فى محاولات استرجاع اسم المكان ...لا أنجح.

أخذت أراقب تلك الناموسة المستقرة على ساقى الممدودة تمتص دمائى.

Scanned by CamScanner

(الناموسة)

أنثى لها مائة عين فى رأسها و٤٨ سناً فى فمها، ولها ثلاثة قلوب فى جوفها و٦ سكاكين فى خرطومها، لكل سكين وظيفة، ولها ثلاثة أجنحة فى كل طرف، وجهاز حرارى يحول لون الجلد البشرى فى الظلام إلى لون بنفسجى حتى تراه، وجهاز تخدير موضعى يساعدها على غرس إبرتها دون أن يشعر الإنسان، وما يشعر به كالقرص يكون نتيجة مص الدم، ومزودة بجهاز تحليل دم، فهى لا تستسيغ كل الدماء، ولها جهاز لتمييع الدم حتى يسرى فى خرطومها الدقيق جدا، وتستطيع شم رائحة عرق الإنسان من مسافة تصل إلى ٦٠ كيلو متراً، وقادرة على نقل أمراض كثيرة أشهرها الملاريا.

أبعدت الناموسة عن ساقى، ونظرت لمكان القرصة، وتأملت اللون الأحمر الوردى الذى ذكرنى بلون خدود "ماهى" البنت الجميلة التى أحبتنى وأحببتها لفترة، ظلت طوالها تبعث لى الورود والهدايا فى كل مناسبة، لم أنس المرة الوحيدة التى أرسلت لها فيها باقة ورد لمرضها، فأخذت ترقص وهى تحتضن الورد وتدور حول نفسها وحولى كدوران الأرض حول محورها وحول الشمس.

حككت مكان القرصة بأظافرى ووضعت الغطاء على ساقىّ.

تناسيت أنى أصلا مددت جسدى على السرير لأستشعر دوران الأرض حول محورها وقررت أن أنام، وقبل أن أنام نظرت للصورة المعلقة على الحائط وتأملت سرب الطيور المهاجرة فى سماء اللوحة.

تلك الطيور التى تهاجر لتبحث عن بيئة مناسبة لتحيا بها يا رامى.

* * *

Scanned by CamScanner

(٢)

أتعرف يا رامى بماذا شعرت أول ما صحوت من نومى؟ شعرت بهدوء قاتل وكأن الفراغ من حولى قد تم تفريغه من الهواء. أغمضت عينىَ وفتحتها فعاد كل شىء لطبيعته.

أظن أن هذا بسبب تفكيرى فى الصوت الناتج عن حركة دوران الأرض فى الليلة السابقة قبل أن أنام.

أزحت الغطاء وقمت من على السرير لأغير ملابسى قبل أى شىء وبعدها غسلت وجهى ونزلت.

خرجت من باب غرفتى المستقرة فوق سطح عمارة مكونة من أربعة طوابق بمصر القديمة.. استقبلتنى أشعة الشمس الدافئة.. نزلت على السلالم لأجد الحاج مجدى أمين صاحب العمارة يهم بغلق باب شقته فى الدور الثالث.

(الحاج مجدى أمين)

لم يحج أصلا، ولكنه حاز على اللقب لما عرف عنه من مواظبة على الصلاة فى المسجد الكبير.. فى منتصف الخمسينات

Scanned by CamScanner

من عمره.. يعيش وحيدا حيث لم ينجب من زوجته التى ماتت محروقة من ثلاث سنوات، انتحرت بسبب بخله الشديد، سكبت على جسدها "علبة" جاز كاملة وتكفل عود ثقاب بالباقى، وظلت تصرخ وسط النار حتى اندفع جسدها لينزلق من البلكونة إلى منتصف الحارة.. حزن الحاج جدا على مصروفات دفنها أكثر من حزنه على فراقها.

ألقيت عليه السلام، رد بفتور وهو يعبث بيده فى جيب جلبابه. وسألنى عن إيجار الشهر، فأخبرته أنى دفعته له فى يده من يومين فقال:

- يا حبيبى انت دافع الشهر اللى فات.. مؤخر يعنى.. أنا عايز إيجار الشهر الجاى مقدم زى بقيت الخلق، ماشى ؟

قلت له إن الله مع الصابرين وطلبت منه أن يسامحنى على التأخير وأكملت نزولى بسرعة كى أخفى ارتباكى وأنا أشعر بنظراته تخترق ظهرى كالنيازك التى تصطدم بسطح الأرض.

* * *

لم أقل لك يا رامى إنه يوجد عنكبوت برازيلى لدغته تسبب ألماً فظيعاً والمادة السمية فى تلك اللدغة تؤدى إلى انتصاب يستمر ساعات، وأنى أظن أن هذا العنكبوت لدغنى وأنا نائم، ليس لأنى شعرت بألم فظيع، ولكن لأن عضوى هو الذى أيقظنى من نومى من شدة انتصابه ولم يرتخ حتى بعد أن نزلت من الغرفة لدرجة أنى كنت خائفاً عندما قابلت الحاج مجدى على السلم أن يلاحظه من تحت البنطال.

* * *

أول ما تبادر إلى ذهنى أن أجد دواءً للانتصاب المفاجئ، فوجدت نفسى

Scanned by CamScanner

أتوجه إلى المنزل الآمن الذى وصفه لى أحمد المكوجى..

لم تكن أول مرة أذهب فيها إلى شقة دعارة، ولكنها الأولى فى هذه الشقة. لذلك عندما سألتنى "المعلمة" أم رانيا من وراء الباب عن هويتى أجبتها بأنى من طرف أحمد المكوجى، ففتحت الباب وابتسمت وسمحت لى بالدخول .

وجدتها ممتلئة وسمراء يوحى وجهها بجمال قديم. كانت ترتدى جلباباً منزلياً لا يدل على أى شىء غير عادى.. رحبت بى بشدة وقالت إننى سأجد غرفاً عليها علامات حمراء وأخرى عليها علامات خضراء.. الحمراء مشغولة والخضراء متاحة.. وقالت أيضا إن البيت بيتى.

كانت الشقة واسعة ونظيفة..

عندما دخلت وجدت أول باب عليه علامة حمراء.. راودنى فضول أن أعرف شكل المرأة ساكنة الغرفة.. نظرت من ثقب الباب فوجدت مؤخرتها سمينة تتأرجح بقوة، منتشية بفعل الرجل النائم تحتها.

المؤخرة تملأ ثقب الباب.

نجم متلألىء أنظر إليه بتليسكوب.

الباب الثانى كانت عليه علامة حمراء أيضا.. وقفت أمامه لحظة.. سمعت أصواتاً خفيفة تصدر منه، ولكنى لم أنظر من ثقبه.

تركت هذا الباب وذهبت الى الباب الأخير، كان الوحيد الذى عليه علامة خضراء، طرقت الباب طرقتين فسمعت صوتاً ناعماً يقول لى أن أدخل، ترددت قليلا ثم دخلت، وجدتها فتاة فى أوائل العشرينات، تلطخ وجهها بالكثير من الصبغات والألوان الصاخبة وجسدها نحيف جدا على عكس ساكنة الغرفة الأولى، قالت لى بعد أن أغلقت الباب:

Scanned by CamScanner

- تعالى ... بس ياريت تخلص بسرعة.

ووضعت جسدها على السرير، كانت جميلة جدا ووجهها فرعونياً، أغلقت الباب خلفى وخلعت حذائى وتقدمت لأستلقى بجانبها، قبلت جبهتها، وأنا فعلا أشعر أنها ملكة فرعونية قديمة، ومسحت بيدى على رأسها وأنا أقول :

- إنتى إسمك ايه ؟
- أمل، وانته ؟
- ياسر.. تعرفى يا أمل إن أنا مبحبش أعمل الحاجات دى بفلوس؟

نظرت لى ببلاهة، فقلت لها :

انتى مش مصدقة ؟.. أنا فعلا عمرى ماحبيت أنام مع واحدة كدة معرفهاش.. أصل الموضوع ده عندى قايم على الإحساس والمشاعر مش على الرغبة الجسدية وبس.

فتحت فمها ببلاهة أكثر ثم انفجرت ضاحكة بعنف حتى دمعت عيناها، وقالت:

عليا النعمة انت شكلك نكتة.

حاولت أن أوضح لها معنى كلامى ولكنها خلعت عنى ملابسى بسرعة وبدأت فى مداعبتى وهى تضحك كامرأه فاجرة تغتصب طفلاً صغيراً، وانطلق عضوى كالطيور المهاجرة ليبحث لنفسه عن بيئة مناسبة يحيا بها.

قضيت معها نصف ساعة وتركتها بعد أن وعدتها بزيارة أخرى.

* * *

Scanned by CamScanner

(٣)

أبلغ الآن من العمر ٣٢ عاماً لم أحقق فيها أى شىء، أو بمعنى أصح، لم تتح لى حتى فرصة أن أحلم بأى شىء، فقد أصابنى خلل عظيم فى حياتى.

بدأت أصطدم بالحياة منذ كان عمرى ١٨ عاماً، كنت فى وقتها أعيش مع أهلى، عندما جاءنى جواب مكتب التنسيق على كلية التجارة جامعة المنوفية. لم يتردد أهلى فى السماح لى بالسفر للمنوفية لأن أصل عائلتى هناك، ومنذ ذلك الوقت لم أعد أتحكم فى أى شىء فى حياتى، وكأن أحلامى كانت كخط مرسوم فى الرمال مُحى مع أول رياح خفيفة مرت عليه.

لقد تم فصلى من كلية التجارة بسبب رسمة كاريكاتورية يا رامى! أتتخيل ؟! كل هذا الخلل فى حياتى بسبب رسمة كاريكاتورية.

فى أول يوم بالجامعة عرفت أن مادة المحاسبة المالية يقوم بتدريسها لنا عميد الكلية الدكتور محمود أمجد الشناوى، وعرفت أن ابنه معنا فى الدفعة نفسها.

وفى إحدى المحاضرات فتحت الكتاب لأجد معادلة بسيطة أرقامها مكتوبة باللغة العربية.. وتحتها مكتوب ترجمة للأرقام باللغة الإنجليزية.

وفى آخر الصفحة وجدت تنويهاً فى الفهرس:

Scanned by CamScanner

- شكرا للطالب سامح محمود الشناوى على ترجمة المثال.

طبعا ضحكت جدا ولم أخرج من المحاضرة إلا وقد رسمت كاريكاتور فيه سامح على هيئة طفل رضيع يعلق فى صدره " البزازة" وأبوه يقف أمام "سبورة" مكتوب عليها

٢ + ٢ = ٤

2 + 2 = 78

وقطعت الملحوظة التى كانت فى آخر الصفحة فى الكتاب ولصقتها أسفل الرسمة :

- شكرا للطالب سامح محمود الشناوى على ترجمة المثال.

رأى الرسم الطالب الجالس خلفى، فأعجبته جدا وقال لى :

- احنا عاوزين الرسمة دى منك .
- انتوا ؟!.. انتوا مين ؟

علمت منه أنه ناصرى وأنه وزملاؤه الناصريون فى الكلية لهم أسرة ومجلة حائط.

ولأنى كنت ساذجاً.. أعطيته الرسم.

بعد ذلك بيومين تم لصق مجلة الحائط بجوار سلم مكتب العميد، الرسم فى صدر العدد وبجانبه مقال عن الوساطة عنوانه " ابن الدكتور لازم يبقى دكتور " .

قالوا لى بعدها إن العميد عندما رأى الرسم أعجبه وضحك وأول ما قرأ المقال، انقلب وجهه، وأشار لفرد من أمن الكلية وطلب منه إحضار كل من وضع قلم فى هذه المجلة.

استمرت عملية جمعنا أسبوعاً وجدت نفسى بعده أقف أمام العميد فى

Scanned by CamScanner

مكتبه وهو يقول لى :

- انت بقى بتاع الرسم ؟ .... انت فيه فى آخر اسمك عيسوى .... انت من عيلة العيسوى بتوع مجلس الشعب ؟

- آه

- يعنى لو فصلتك دلوقتى.. هترجعلى تانى بالواسطة اللى مش عاجبة سيادتك.

نظرت للأرض ولم أتكلم، شعرت بارتباك بالغ وأنا أقف أمامه، وبدأت أفكر فى مصيرى لو اكتشف العميد كذبى عليه فى موضوع عائلة العيسوى هذا واستغلالى لتشابه الأسماء.

بعدها تم فصل كل زملائى من الكلية مع حرمان بعضهم من إكمال تعليمه فى الجامعات المصرية.

وأنا الوحيد الذى لم يتم فصلى، ولكنى ظللت أرسب سنتين رغم أنى كنت أذاكر جيدا حتى تم فصلى، وعندما دخلت إلى مكتب العميد لأقدم له التماساً قال لى فور دخولى :

- مش انت بتاع الرسم ؟.. ها.. اتفصلت ولا لسة؟

* * *

Scanned by CamScanner

(٤)

كنت عندما أشعر بالوحدة والضعف أذهب بلا تردد إلى مقهى الزهرة.

مقهى صغير ومنزوى كنت معتادا على الجلوس فيه كثيراً مع صاحبه الحاج سعيد الصعيدى.

أصله من أسيوط وطيب جدا مازال يحتفظ بطريقة كلامه الصعيدية. ويرتدى دائما الجلباب، عمره حوالى ٦٠ سنة أو أكثر. ولكن صحته جيدة رغم انحناءة ظهره الخفيفة وتساقط معظم أسنانه.

وكامل بائع الروبابكيا الذى دائما ما "يركن" عربته أمام باب المقهى ويتركها ليجلس معنا، ومحسن سائق التاكسى الذى يترك عربته هو الآخر بجوار عربة كامل.

ومحمود ماسح الأحذية الذى يجلس دائما بجوار التاكسى يمسح للزبائن القليلة.

(محمود)

يقف دائما أمام الزبون محنى الرأس، دون كلام، ناظراً إلى الحذاء بانكسار.

Scanned by CamScanner

لن يخفى بريق عينيه عند خلع الحذاء له. سوف يخلع قطعة الكرتون النظيفة تحت قدمى الزبون ويتكور على نفسه أمام صندوقه خارج المقهى ليمسحه بحرص بالغ يجعل الزبون يعيد النظر فى قيمه حذائه.

يأخذ الجنيه راضيا وينسحب بهدوء دون أن يعطى ظهره لأحد ليعود منزويا أمام صندوقه فى انتظار حذاء آخر.

أجلس دائما أنا والحاج سعيد وكامل ومحسن. ومحمود جالس أمامنا وراء صندوقه، ننغمس فى أحاديث وذكريات وحكايات .

كلما زادت بساطة الناس زادت ألفتهم وزاد تلاحمهم.

أشعر وأنا جالس معهم أن كيانى يذوب فيهم وأطمئن. نتحول إلى كتلة واحدة تجلس على دكتين متلاصقتين.

كبرادة الحديد التى تجتمع حول مغناطيس.

يذهب بيننا وبين المطبخ عبد الراضى صبى المقهى الذى يعانى من نقص فى معدل الذكاء واضطراب فى النطق، والذى تكفل الحاج سعيد بتربيته وإعانته.

وكنا دائما نضحك من طريقته فى الكلام، فمثلا كلمه " كدة" تكون بطريقة عبد الراضى " تته "، وكثيرا ما كان كامل يقول له مداعبا:

- ولا يا عبت الراتى اتينى واحت تهوة ساتة.

فننفجر جميعنا فى الضحك ويندفع عبد الراضى بسرعة للداخل ويحزن فقط لأن الحاج سعيد ضحك مع من ضحكوا .

* * *

بعد أن تم فصلى من كلية التجارة ذهبت إلى المقهى بعد غياب سنتين.

Scanned by CamScanner

عندما وصلت وجدتها شبه مهجورة. ووجدت الحاج سعيد قد شاخ أكثر وزادت انحناءة ظهره ولم تعد له غير سنة واحدة فقط. ولكنه مازال يصر على فتح فمه بالكامل وهو يبتسم.

ووجدت عربة كامل تقف وحيدة بدونه. ولم أجد تاكسى محسن ولا محمود وصندوقه.

علمت من الحاج أن محسن لم يعد يأتى كثيرا وأن محمود ذهب للجلوس أمام مقهى حديثة زبائنها أكثر. وعندما سألته عن كامل قال بحزن:

- كامل استندل معانا.

يومها حزنت جدا. فهذه كانت طريقة الحاج سعيد فى قوله إن أحدهم مات.

وعرفت أن الحاج أصر على أن تبقى عربة كامل بجوار مقهاه وأن يباشرها بنفسه. أتى عبد الراضى بالشاى ووضعه أمامى دون أن يتكلم وانسحب إلى داخل المقهى ولم يخرج بعدها .

وعندها جاء زبون أمام عربة كامل قام الحاج ليلبى نداءه. سرعان ما ذهب الرجل تاركا الحاج وحيدا يمسك بيديه الاثنتين ذراع " أتارى " قديمة فى وسط كراكيب عربة كامل ويلعب بها وهو يبتسم ابتسامته الواسعة كاشفا عن سنته الوحيدة الباقية.

انتهيت من شرب الشاى وتركت الحاج سعيد وقد زاد حزنى. ولم أر من الأيام الفائتة غير الحاج وعبد الراضى وعربة كامل .

* * *

Scanned by CamScanner

(٥)

أنا يا رامى الابن الثانى لأبى وأمى. أخى الأكبر صادق أخذ إعفاءً طبياً من الجيش بسبب ضعف نظره الشديد، فكان يكفى أن يرى أى طبيب نظارته الكعب " كوباية " ليعطيه إعفاءً نهائياً هو والواقف بجانبه.

وحتى لو لم يكن نظره ضعيفاً كان سيأخذ تأجيلاً لأنه يعول الأسرة بعد أن أتم أبى الـ٦٠

* * *

بعد فصلى من كلية التجارة، ورجوعى للعيش مع أهلى. اكتئبت لفترة لم أقدم أوراقى فيها لأى كلية أخرى، إلى أن نصحنى والدى بأن أقدم أوراقى للجيش حتى أنهى هذه المرحلة وأبدأ بعدها حياتى العملية.

صادق لم يدخل الجيش، وأنا دخلت..

جاء جيشى فى السلوم ...

جندى مجند ياسر فتحى العيسوى

جاهدت لمعرفة أية وساطة تنقذنى من السلوم أو أخذ إعفاء طبى من الجيش مثل صادق ولكن كل محاولاتى فشلت، رغم أنه يوجد فى صدرى جرح غائر نتج عن عملية جراحية كنت قد أجريتها وأنا طفل.

Scanned by CamScanner

ذهبت بالفعل إلى السلوم، وقضيت هناك ٦ أشهر، ولكنى لم استسلم. ففى إحدى إجازاتى، ازداد إصرارى على إجراء فحوصات على صدرى وأشعات وتحاليل فى محاولة لتكبير الموضوع .

علمت أنه لكى أحصل على " أورنيك عيادة " أى تصريح بالكشف كان يجب أن أذهب إلى باب خمسة فى العباسية أمام أرض المعارض، وفعلا ذهبت فى تلك الإجازة..

استوقفت " تاكسى " وذهبت مباشرة إلى العباسية، وفور نزولى من " التاكسى " أمام الباب استجمعت أمام عينى كل مشاهد الإغماء فى الأفلام التى رأيتها فى حياتى وسقطت على الأرض.. هتف العسكرى الواقف خدمة على الباب لزميله:

- الحق.. حوش .

واندفعا ناحيتى :

- مالك فى ايه .

قلت بصوت ضعيف وأنا أشهق بقوة:

- تعبان.. مش قادر آخد نفسى .

أخذونى على "النقالة"، كنت فاتحاً فمى على آخره لا أقفله وبعد لحظات جاء دكتور برتبة نقيب وسألهم :

- ماله ؟

- مش قادر ياخد نفسه ولا يقفل بقه.

فنظر إلى باستغراب وقال:

- اقفل بقك يا بنى.

لم أستجب له وتعاملت كأنى لا أسمعه، ركبوا لى محاليل وحاولوا قفل

Scanned by CamScanner

فمى بلا نفع، وبعد أن قاربت المحاليل على الانتهاء، بدأت فى الاستجابة وقفلت فمى، فسألنى الدكتور :

- الحالة دى بتحصلك ازاى وامتى ؟

أجبت بضعف :

- مع المجهود الزايد حضرتك وانا جيشى فى السلوم .

أجرى الدكتور بعض الفحوصات وجعلته يرى الجرح القديم فى صدرى، فحولنى إلى مستشفى كوبرى القبة العسكرى ب" أورنيك حجز " ٤ أيام للفحص.

وبعد نقلى تم حجزى فى غرفة بالمستشفى..

فى مساء أول يوم جاءت ممرضة لتمر علىّ، كانت رفيعة وقصيرة وبيضاء، عرفت منها أنها المسئولة عن المرضى فى الوردية الليلية، بعد فترة قصيرة بدأت أشعر بالملل وباحتياجى لتدخين سيجارة، سألتها على واحدة فلم أجد معها، طلبت منها أن أنزل لأشترى علبة فردت بسرعة:

- لأ ... ممنوع ... أنت عاوز تودينى فى داهيه ؟ وبعدين انته عايز تموت نفسك ! !

قالتها ودخلت الحمام، وعندما طالت مدة غيابها داخله، تشجعت وجاءتنى الفكرة، فتسحبت من فوق السرير وفتحت باب الغرفة لأنزل مسرعاً، شعرت بمتعة شبيهة بمتعة الأطفال وهم يلعبون " الأستغماية" .

خرجت من بوابة المستشفى دون أن يسألنى أحد عن أى شىء لأنى لم أكن أرتدى ملابس الجيش، وجدت كشك سجائر على ناصية المستشفى فاشتريت العلبة، وأنا عائد فى طريقى إلى الغرفة أشعلت سيجارة باستمتاع فى فناء المستشفى، وفجأه ظهر أمامى عسكرى، قال لى إن قائد حرس

Scanned by CamScanner

المستشفى رآنى وقال أيضا إنى منحوس لأن القائد لا يأتى فى هذا الوقت المتأخر كثيرا، توترت جدا فأطفأت السيجارة وشعرت بسوء مصيرى أكثر عندما أخذ العسكرى يتعاطف معى وبدأ فى مواساتى .

دخلنا حجره القائد

لواء

نسر وسيفان

نظر لى ثم قال:

- انت اللى كنت بتتمشى بره؟... انت ايه يا بنى محجوز ولا جى زياره لحد؟، ولا ايه بالظبط ؟، وبعدين هوه فيه زياره بعد الساعة ٧ بليل؟!!

- أنا محجوز يا فندم .

- محجوز !! اسمك ايه ؟

- جندى مجند ياسر فتحى

- مجند ؟! ... وحدتك ايه ؟

- فى السلوم يا فندم .

- السلوم !!

- اللوا ١٣١ هضبة السلوم .

ضرب على مكتبه بيده اليمنى وسحب شخرة قصيرة وقال :

- وايه اللى جابك هنا ؟! ... مروحتش مستشفى برانى ليه ؟

كان يقصد المستشفى العسكرى فى سيدى برانى المسئولة عن المجندين فى المنطقة الغربية.. أى الصحراء الغربية.

- أنا ساكن هنا فى القاهرة، تعبت وأنا فى الإجازة فحجزونى فى

Scanned by CamScanner

المستشفى .

- وانا انت محجوز ايه اللى منزلك من على سريرك ؟. ثم تعبان ازاى وكان فى ايدك سيجارة ؟

التزمت الصمت واستسلمت للظروف. وفكرت فى الممرضة وأنها فعلا ستتأذى بسببى .

- انت محجوز فى مستشفى ايه ؟

- الصدر يا فندم .

- كمان ؟!.. ياخى أحا. ونزلت ازاى أصلا من على سريرك

- مفيش يا فندم لقيت الممرضة مش موجودة.. فنزلت

نظر للعسكرى وقال له :

- هاتلى الممرضه اللى عليها نوبتجيه فى الدور بتاعه .

ثم نظر لى مرة أخرى :

- هى شكلها إيه ؟

فكرت فى مستقبل الممرضة فى لحظة وقلت :

- تخينه وسمرا وطويلة يا فندم .

نظر للعسكرى وأمره :

- هات لى الممرضة القصيرة البيضا الرفيعة.

ثم نظر لى مرة أخرى :

- مش هيه دى أوصافها ؟

- لأ يا فندم ..

- هنشوف دلوقتى مين اللى صح يا روح أمك.. اطلع استنى بره .

وقفت خارج الغرفة حتى جاءت الممرضة مع العسكرى. وأول ما دخلنا

Scanned by CamScanner

كلنا ضحك اللواء ونظر للعسكرى .

- آدى يا عم التخينه الطويله السمرا .

- يا سلام عليك يا فندم.. باشا والله .

نظر اللواء للممرضة وقال لها :

- ازاى ده ينزل ؟.. انتى اللى نزلتيه ؟

- لأيا فندم.. أنا معرفش أصلا انه موجود فى الدور .

اندهش وسألنى :

- انت محجوز بقالك أد ايه ؟

- لسه النهارده يا فندم .

- علشان كده لابس بنطلون ترنج وتى شرت أديداس ومروق نفسك ؟.. فين البيجامه الزرقا بتاعة الجيش ؟!

- يا فندم أنا معرفش حاجة.. لسه أول يوم .

فقال للممرضة:

- سلميه بيجامة ..

وأضاف بلهجة تحذيرية:

- مش عايز أعملك ١٥ يوم خصم مع القطع، وخلى بالك من شغلك .

ثم استدار ناحيتى وقال :

- لو عرفت ان انت نزلت من على سريرك.. مش بقى خرجت من الأوضة، هرجعك وحدتك تانى فى السلوم.. وهخليهم يحبسوك، اتفضل على اوضتك، اتحرك بسرعة، قبل ما أغير رأيى .

سبقت الممرضة التى أمرها اللواء بالانتظار، وأغلقت بابى خلفى وانتابتنى يا رامى كآبة بنت وسخة، وشعرت أنى أفقد حياتى، بالتأكيد هذا

Scanned by CamScanner

ليس أنا، بالتأكيد ليس أنا، هذه المواقف تحدث للآخرين.

وبدأت فى كتابه قصيدة لأصب مشاعرى المكبوتة على الورق.

مرت فترة وأنا أكتب حتى أنى نسيت كل ما حدث. وفجأه دفع أحدهم باب الغرفة بقدمه..

كانت الممرضة التى اندفعت وهى تصيح بغيظ :

- ايه اللى انت عملتوا ده ؟.. انت بتستهبل ؟! كان هيخصملى ١٥ يوم عشان واحد ملوش لازمة زيك ! !

نظرت لها بغيظ وتأكد احساسى ساعتها أنى فعلا شخص آخر. شخص يتمارض على سرير فى مستشفى عسكرى ويستقبل إهانات ممرضة ببساطة .

نتشت الورقة من يدى وقالت :

- انت بتعمل ايه ؟.. وكمان ليك دماغ تكتب أشعار ! !

قلت لها بضيق :

- انتى مالك انتى وبعدين سيبينى أكمل مش عارف أكمل .

سكتت لحظة ثم قرأت آخر جزء فى القصيدة بصوت عال :

- الشمس بتيجى وتروح

وفكرت قليلا ثم أضافت:

- الشمس بتيجى وتروح.... سايبه الزعلان فرحان، ممكن تبقى كدة.

- الشمس هتسيب الزعلان فرحان ليه ؟ وازاى ؟.. المنطق بيقول إن الشمس تسيب البردان دفيان .

و دخلنا ليلتها فى جدال كبير حتى أكملت البيت بأن الشمس تترك البردان دفيان .

Scanned by CamScanner

قامت هى بالمرور على المرضى. بعد أن أعطتنى البيجامة. ودخلت أنا فى نوم عميق بعد إرهاق يوم طويل. ولكن بعد قليل أيقظتنى الممرضة وقالت:

- أنا زهقانة.. معاكش كتاب أقراه ؟

أعطيتها الكتاب الوحيد الذى كان معى. وأكملت نومى بعد أن خرجت هى. وفى الصباح وهى تسلم " نوبتجيتها " أعطتنى أقراص الدواء وقالت :

- متزعلش من اللى حصل امبارح. انت شكلك كويس وابن ناس. أنا عايزة أبقى اقعد معاك أكتر فى نبطشية بليل لما آجى .

- انتى اسمك ايه ؟

- جيهان .

- ماشى يا جيهان ..

* * *

عندما جاءت فى الليل تحدثنا كثيرا وتوطدت صداقتنا وعزمت هى على بسجائر وشربنا معا. وعرفت أنها كذبت أول يوم عندما قالت إنها ليس معها سجائر .

امتدت فترة حجزى فى المستشفى إلى عشره أيام سهرتها كلها مع جيهان. عرفت الكثير عنها وعرفت هى الكثير عنى. وفى آخر يوم ودعتها بحرارة وخرجت لأعود إلى وحدتى فى السلوم .

* * *

Scanned by CamScanner

(٦)

ظللت فى السلوم لمدة ٦ شهور أخرى. رجعت بعدها لإجراء آخر عملية كشف، كانت جيهان قد انتقلت من الإشراف على الغرف إلى الأجهزة.

كان يجب أن أقيس ضغط الرئة على جهاز هو عبارة عن بالونة تضعها فى فمك لتأخذ نفساً قوياً، وتدفعه بأقصى ما تستطيع. وهذه البالونة متصلة بخرطوم للجهاز الذى يقيس معدل قوة ضغط الرئة. وتخرج النتائج من الجهاز مكتوبة على ورقة.

أخذت نفساً قوياً من البالونة، ونفختـه بأقصى قوتى. وانتظرت النتيجة، بعد قليل أخرجت جيهان الورقة من الجهاز ونظرت فيها ثم قالت وعينيها مازالت فى الورقة:

- لو شافوا الورقه دى احتمال كبير قوى تفضل فى الجيش طول عمرك ... دا أنت حصان ... حصاااان .

ثم كورت الورقة وألقتها فى صندوق بجوارها وأجلستنى على كرسى بجانب نافذة الغرفة وعزمت على بسيجارة وكوب شاى .

Scanned by CamScanner

كنت قد تعلمت فى الجيش يا رامى أنه عندما يتوفر كوب شاى مع سيجارة يجب أن أشربهما هكذا بالترتيب، نصف كوب الشاى أولا ثم أشعل السيجاره لأشرب نصفها الأول مع نصف الكوب الثانى ثم أشرب نصف السيجارة الثانى، كانت هذه هى طريقتنا المثلى للشعور بكل المتع بأقل الإمكانيات، شاى بدون سجائر، وسجائر بدون شاى، والاثنان معا.

وأنا أشرب الشاى دخل ليقوم بالقياس رجل مسن جدا من جمعية المحاربين القدامى، وعلمت من جيهان فيما بعد أنه يأتى بصفة دورية للكشف، المهم يا رامى أن جيهان أخذت نتائج فحص هذا الرجل من الجهاز وقالت له بمنتهى اللباقة والأدب أنه سيضطر أن يعيد الاختبار مرة أخرى لأن ورقة النتيجة خرجت ممسوحة، لعن الرجل جيهان وقال لها:

- أنا قادر آخد نفسى لما تخلينى أنفخ فى البالونة دى تانى..

ثم أشار ناحيتى وبدأ يصيح:

- وبعدين مش كفايه اللى قاعد مولعلى سيجاره ده.

شعرت بحرج شديد ولكنى لم أقدر على إطفاء السيجارة لأنى كنت فى المرحلة الثانية (شاى مع دخان).. أمتع مرحلة.

تأسفت له بشدة وفتحت النافذة ومددت يدى ورأسى خارجها.

اعتذرت جيهان هى الأخرى ونهرتنى أمامه بحركة تمثيلية، ثم أعطته البالونة مرة أخرى، وبعدما أعاد الرجل الاختبار أصبح معها ورقتان، وضعت الأولى فى ملف الرجل والأخرى فى ملفى.

Scanned by CamScanner

انتظرت جيهان قليلا حتى خرج الرجل من الغرفة ثم أعطتنى الملف وقالت وهى مبتسمة :

ـ اعفا إن شاء الله .

كنت قد أنهيت المرحلة الثالثة بانتهاء السيجارة، فاحتضنتها بامتنان حقيقى، وأنا أشعر بسعادة بالغة، وعندما قدمت الملف، أخذت على الفور إعفاءً من الجيش بعد سنة كاملة من العذاب.

* * *

Scanned by CamScanner

(٧)

بعد أن أخذت إعفاءً حولت أوراقى إلى كلية الحقوق جامعة عين شمس. وانتظمت فى الدراسة، كان أبى فى ذلك الوقت وصل إلى عامه الرابع والستين، وأمى إلى عامها الثالث والخمسين.

منذ أن كنت فى الصف الثالث الثانوى، وأنا لا أكف عن متابعته ومراقبة التغيرات التى تحل بأبى بعد خروجه على المعاش.

أبى كان يعمل رئيس عمال فى هيئة النقل العام، وعندما استلم مكافأه نهاية الخدمة قرر فجأة أن يعمل بالتجارة، شعرت وقتها أنه يريد أن يثبت لنا ولنفسه أنه مازال قادرا على العمل والعطاء، تعاملت أمى مع الموقف فى البداية باستغراب، ومن جانبى أنا كنت أشعر بتعاطف شديد معه، وبدأ أبى تجارته بشراء أجولة أرز ليقوم بتخزينها وبيعها، ولأنه طوال عمره لم يشتغل بالتجارة خسر معظم مكافأته فى هذا النشاط، ولكنه استمر فى العناد، فتحول بعدها إلى تجارة الجملة، وبدأت تظهر بشائر الخسارة من جديد، فاستسلم وهجر كل الأعمال ليجلس أغلب النهار فى البيت، وفى الليل على المقهى مع زملائه القلائل، وبالتدريج بدأ الشعر الأبيض يزحف على رأسه حتى اختفى الشعر الأسود تماما، وتأكد سماره.

Scanned by CamScanner

ظللت أتابع محاولاته المستميتة لملأ أوقات فراغه. وكعادة كبار السن اتجه والدى إلى الدين. فأطلق لحيته وأصبح وقته موزعاً بين قراءة القرآن والجلوس والصلاة فى المسجد.

مع الوقت بدأ نظره يضعف. فاشترينا له مصحفاً أكبر حجماً. وبعد فترة ضعف نظره أكثر فأتينا له بنظارة. ظل نظره يضعف تدريجياً. وفى كل مرة كنا نأتى له بنظارة أقوى كالتى يستعملها صادق ومصحف أكبر حتى وصلنا إلى أكبر حجم فى المصحف. ذلك الذى يوضع على حامل كبير. ولم يكن أحد يستطيع حمله بسهولة. فوضعناه فى ركن الصالة على حامله وخصصنا هذا الركن لقراءة أبى .

ولكن نظره استمر فى الانسحاب تدريجيا. إلى أن عمى تماما. فاضطر الى أن يقلع عن القراءة واتجه إلى الاستماع للقرآن عن طريق " الكاسيت " .

* * *

كانت أمى طوال تلك الفترة أحسن عون له وتنفذ كل طلباته.

بدأت أنا فى تلك الفترة فى البحث عن عمل حتى أدبر نفقاتى، واستمررت لمدة طويلة أبحث. وفى نفس الوقت كنت انتظم فى الدراسة بكلية الحقوق، حتى وجدت عملاً كفرد أمن تابع لأحد المكاتب.

يبدو يا رامى أن الإنسان فعلاً يشعر باقتراب لحظة موته. وذلك لأن أمى قالت لى فى تلك الفترة:

- خلاص يابنى ... أنا حاسه إن النهاية قربت أوى .

صدمنى هذا الكلام وأكد احساسى باقتراب يوم أبى.

بعدها بأسبوعين دخلت أمى كعادتها لتنام ساعة بعد وقت الظهيرة تاركة أبى يستمع للقرآن.

Scanned by CamScanner

دخلت لتنام ساعة لم تستيقظ منها أبدا .

ماتت أمى فجأه. وتركتنا اثنين شباباً ورجلاً فى آخر عمره ... فجأة.

كانت صدمة عنيفة جدا علينا كلنا. ولكن أبى كان أكثرنا تأثرا بوفاتها فتغير مسار حياته بعدها وتأكدت وحدته.

وكانت أول مرة فى حياتى أتعرف على العدم.

إنسان كان موجودا ثم لا يصبح موجودا. فقدنا أمى من حولنا ولكنها ربما تكون موجودة الآن ولكن بصورة أخرى.

لا أعرف

ولكنى أدركت منذ ذلك الوقت أنه لابد من نهاية.

* * *

تناوبنا أنا وصادق على رعاية أبى كيفما اتفق، وانقسم يومى بين الكلية والعمل ومراعاة أبى. أهملت الكلية تماما. كنت فى السنة الثانية.. فرسبت فيها. .

وفى يوم طلب أبى من صادق أن ينادى علىَ لنجلس معه. وفى ذلك المجلس أراد أبى منا أن نأتى له بعامل بناء ليبنى له حوضاً من الطوب الأحمر والأسمنت أسفل البيت. وأراد أن يكون الحوض كافياً لأن ينام به رجل بالغ .

نفذنا كل ما طلبه. وجئنا بعامل بناء دون أن نفهم أو نعرف ماذا يريد. ظن صادق وقتها أن أبانا يريد أن ينتحر أو يأذى نفسه أو أى شىء مشابه لذلك وعشنا أيام فى قلق حتى انتهى العامل من بناء الحوض .

عندما عرفنا بعدها فى أى شىء كان يريد أبى الحوض، أعلن صادق سذاجته وأعلنت أنا غبائى لأنى تركت نفسى لهواجسه المتخلفة. فقد أمرنا

Scanned by CamScanner

أبى أن نملأ الحوض بماء لتشرب منه الطيور والحيوانات، وظل أبى طوال الشهور الأخيرة من حياته يستيقظ عند الفجر، يصلى ويجلس على كرسى فى الشارع بجانب الحوض حتى صلاه الظهر يستمع لأصوات العصافير والطيور المختلفة والحيوانات التى انجذبت إلى الحوض .

فى صباح يوم ١٥/ ٨ / ٢٠٠٦ مات أبى بعد صلاه الفجر، قبل أن ينزل بالكرسى للشارع .

* * *

Scanned by CamScanner

(٨)

ترك لنا أبى بعد موته الشقة وقطعة أرض صغيرة كان قد ورثها عن جدى وحوض ماء تنجذب إليه الحيوانات والطيور التى قل مجيئها بالتدريج بعد وفاته حتى اختفت تماما عندما جفت مياه الحوض.

عشت مع صادق بعدها وتكرر رسوبى فى الكلية.. فتركتها، فى تلك الفترة اقتربت من البنت "ماهى".

كانت تصغرنى بأربعة أعوام. تسكن فى البيت المقابل لنا مباشرة، بريئة جدا. دائما ما كانت تقف فى نافذة غرفتها وتخصنى بالإشارات والابتسامات. تنبهت فجأه إلى نضج جسدها وتحولها إلى فتاة قادرة على إثارة أى رجل. لم أستوعب الأمر فى بدايته وخاصة أنى أعاملها طوال السنوات الماضية كأختى. فقررت ألا أنظر ناحيتها كثيرا. ولكنى لم أستطع وخصوصا مع استمرار نظراتها لى سواء من نافذتها. أو فى الشارع.

ودخلت معها يا رامى فى حالة حب بسيطة وجميلة، بعد أن صارحتنى بحبها وصارحتها.

كانت رقيقة الجسد وبيضاء، بنية الشعر والعينين وتحب الابتسام بعينيها أكثر من الابتسام بفمها .

Scanned by CamScanner

هذه هى ماهى التى أحببتها ..

كنت أذهب معها فى طريقها إلى الدروس الخصوصية ولكنها فى الأغلب لم تكن تذهب، ونستمر فى المشى فى الشوارع بلا هدف.. كفى يستقر فى كفها، ثم كانت القبلة الأولى.. سريعة، مضطربة وغير مدربة، يومها قالت لى :

- أنا فاكره كويس لما كنت ماشية مع بابا فى الشارع ده وأنا صغيرة، كانت الدنيا برد جداً، قام بابا عمل زى انت ما عملت دلوقتى.. قلع الجاكته بتاعته وحطها على كتفى، الجاكته كانت أطول من جسمى وفضلت تزحف على الأرض، كنت طايرة من الفرحة.. أنا بحب بابا أوى.. وبحبك انت كمان علشان بتفكرنى ببابا.

هذه هى ماهى التى أحببتها.. وليست ماهى التى تحدثوا عنها..

كان الشباب فى شارعنا متمثلين فى صادق أخى وأصدقائه دائما ما يقولون إنها تقابل أحمد سالم صديقهم بصفة مستمرة، وأنه دخل معها فى علاقة خاصة تبيح له أن يفعل معها ما يشاء .

أغتظت جدا من كلام هؤلاء الأغبياء وعلى رأسهم صادق، وعندما تكلمت معه فى الموضوع، ضحك بشدة استفزتنى جدا، وقال ووجهه أحمر من شدة الضحك :

- يابنى انت من بنها ؟!.. انت متضايق عشان بنتكلم على البت ماهى والواد أحمد سالم ! ! ، طب ايه رأيك بقى ان مفيش واحد من العيال معداش عليها.. يابنى البت دى اسمها الحركى ماهى جمعية عشان كل شهر فى واحد بيقبضها .

دخل كلامه فى أذنى كماء النار، وارتبكت جدا لدرجة أنى شعرت أن

Scanned by CamScanner

أعضائى تبدل أماكنها داخل جسدى .

ماهى ؟!!

احتبست الحروف فى حلقى أمام ضحكات صادق العنيفة وتركته وأنا أشعر بإهانة بعد سماعى لكلامه القذر عنها .

فى تلك الفترة انقطعت ماهى عنى بطريقة عنيفة وفجائية دون أى سبب واضح، ولكنى أظن أن الكلام الذى قالوه هو السبب .

استمر كلام صادق وأصدقائه إلى أن ذهبت للسكن فى مصر القديمة، ولكنى مازلت لا أصدق هذا الكلام حتى الآن.

* * *

Scanned by CamScanner

(٩)

بعد وفاة أبى وأمى لم أعرف لماذا اهتزت علاقتى بأخى صادق.. وخاصة عندما خطب تلك البنت التى ستصبح زوجته، وعندما أراد أن يتزوج قرر أنه سيتزوج فى الشقة، كنت فى عامى الثالث بكلية الحقوق، وبعد مناقشات طويلة وجدتنى فيها أتحدث مع شخص آخر غير أخى صادق الذى أعرفه وصلنا لاتفاق أن يأخذ هو الشقه ليتزوج بها وآخذ أنا قطعة الأرض، ولكنى شعرت - رغم الاتفاق — أننى سأرحل بهذه الطريقة مطرودا من بيت أبى وأمى، وفعلا ذهبت لأبحث عن غرفة فى مصر القديمة، وفى رابع يوم بحث فقدت الأمل بعد أن قال لى الجميع إنه لا توجد هنا غرف، توقفت عند محل " مكوجى " لأشرب، كان صاحبه شاب صغير، ناولنى الماء وباغتنى بسؤاله:

- انت تبع مين يا برنس؟

- نعم ؟!

- أقُصد يعنى جى لمين هنا.. أصل أنا شايفك بتلف من الصبح وأنا عارفهم هنا واحد واحد من الكبير للصغير .

- أنا مش جى لحد.. دا أنا كنت بدور على أوضه أأجرها.. بس مفيش .

Scanned by CamScanner

- ليه بس.. أنا عندى ليك أوضه تمام.. هنا.. فى الشارع اللى ورانا..

وعندما سألته عن مكان البيت بالضبط، أغلق باب المحل دون أن يتكلم، وأخذنى من يدى للشارع الخلفى عند بيت الحاج مجدى أمين .

* * *

Scanned by CamScanner

(١٠)

أول ما تسلمت عملى كفرد أمن كان العمل مقسماً إلى ثلاث ورديات، الأولى من ٦ صباحاً حتى ٢ ظهراً والثانية حتى العاشرة مساءً والثالثة حتى ٦ صباحاً.

ظللت أعمل فى الوردية الثانية حتى أستطيع الذهاب إلى الكلية صباحا ومراعاة أبى ليلا، ولكن بعد وفاة أبى وتركى للكلية فضلت الانتقال إلى الوردية الثالثة لأننى أحب الليل، ولتجنب الازدحام وحرارة الجو فى النهار .

كنت أقوم بحراسة بوابة شركة أدوية كبيرة.

يقولون إن مخزن الأدوية التابع للشركة به بضاعة بمئات الألوف من الجنيهات .

فى أول أشهر العمل كنت أشعر بخطورة المسئولية التى أحملها وكنت أظل متحفزا طوال مدة الوردية، ولكنى مع الوقت وبعد جلساتى مع العم حسن الذى كنت أتسلم منه الوردية والعم صالح الذى كان يستلمها منى، بدأت فى عدم الاهتمام والشعور ببساطة الأمر وأصبحت كلمات العم حسن تتردد فى ذهنى

Scanned by CamScanner

" يعنى يا عم همه الحراميه منشنين على باب الشركة دى بالذات "

واكتشفت أن مجرد وجودى حتى لو كنت نائما سيحفظ الشركة من أى سرقة لأن أى سارق سيخشى الاقتراب مع احتمال استيقاظى فى أى لحظة.

وتحولت أوقات اليقظة إلى أوقات خمول ونوم.

* * *

Scanned by CamScanner

(١١)

توفيت الحاجة خضرة فتحى رمضان يوم الخميس الموافق ١٠/ ١١ / ٢٠٠٥ ودفنت يوم الجمعة ١١ / ١١ / ٢٠٠٥ بجوار السيدة نفيسة رحمها الله وجعل مثواها الجنة بإذن الله .

ابنها الغالى

المعتز بالله

هذا الكلام كان مكتوباً على جنيه وجدته بعد كتابته بثلاث سنوات، يوم ٤ / ١ / ٢٠٠٨. ولم أعرف لماذا شعرت بالحزن على وفاة الحاجة خضرة وامتننت جدا لابنها. ومن يومها جعلت هذه طريقتى الجديدة للفضفضة والكلام، كلما أردت الكلام كنت أكتب على الأوراق النقدية من فئة الجنية ونصف الجنيه والربع جنيه، وأقوم بصرفها فى أماكن مختلفة

كتبت نعى أبى وأمى وكامل بائع الروبابكيا على جنيهات كثيرة وأهديت جنيهات أكثر إلى ماهى وجيهان، وكنت أصرفها بصفة يومية.

Scanned by CamScanner

وفى يوم فككت ١٠ جنيهات إلى ٤٠ ورقة من فئة الربع جنيه ولعنت عليها أم الحاج مجدى أمين وصرفتها كلها فى نفس اليوم فى أماكن متفرقة وبعيدة عن مصر القديمة.

* * *

Scanned by CamScanner

(١٢)

غرفة مصر القديمة واسعة.. والوحيدة على السطح، عندما استلمتها كان يوجد بها سرير صغير وكرسى وحصيرة تفرش مساحة الأرض الخالية بجوار السرير، وثلاجة صغيرة لم تعد تعرف أنها ثلاجة، فأعدت استخدامها كدولاب للملابس.

عند دخولك الغرفة يا رامى ستجد السرير على يمينك وفى الحائط المقابل للباب توجد نافذة كبيرة، بجوارها تقف الثلاجة.

(الثلاجة)

نوعها آلاسكا، بيضاء، ١٠ قدم، بها ثلاثة أرفف ودرج للخضروات، وبها مشكلة فى الموتور ناتجة عن سوء استعمال.

أول يوم استلمت فيه الغرفة قضيته فى التنظيف ومطاردة الأتربة الكثيفة والحشرات التى كانت تستوطنها.ثم أحضرت ملابسى ورتبتها فى الثلاجة وأحضرت كتبى ووضعتها فوقها، وأحضرت مفرش نظيف ووسادة وسجادة، وصنعت منضدة صغيرة من بواقى خشب وجدته على السطح أمام الغرفة، وأخذت لوحة الطيور المهاجرة من شقتنا وثبت لها مسمار على

Scanned by CamScanner

الحائط المقابل للسرير.

جعلت المنضدة والكرسى أسفل اللوحة وأصبحت المنضدة هى المطبخ فاستخدمتها للأكل ووضعت عليها " عدة الشاى " .

وكنت استند عليها عندما أكتب على النقود.

اعتدت أن أرى من نافذة الغرفة المآذن القديمة كبيرة ومتفرقة وقريبة جدا من عينىّ، تتناثر بين أسطح البيوت الفوضوية.

وعلى أسطح البيوت تنتشر أبراج الحمام وكراكيب كثيرة جداً، وطائرات ورقية كثيرة يلعب بها أطفال وشباب.

عند الغروب كل يوم يتكرر ذلك المشهد الصامت..

المآذن تقف بشموخ وسط الكراكيب وفى خلفيتها سماء نصفها العلوى أزرق، والسفلى أزرق وبنفسجى وأحمر وبرتقالى وأصفر، والطائرات تتراقص فى الهواء يميناً وشمالاً، والحمام كما فى لوحة الطيور المهاجرة يا رامى يشق الهواء فى مجاميع دائرية فى رحلة النزول من السماء إلى الأبراج.

سحرتنى مصر القديمة وجعلتنى أعيش وسط بقايا التاريخ.

بدأت فى تطوير أسلوب الكتابة على النقود فأصبحت أكتب للناس عامة وكأنى أرسل لهم إشارات تحذيرية.

كنت يومياً قبل ذهابى لاستلام الوردية أنزل لأجلس مع أحمد المكوجى فى محله فى الشارع المقابل وأبدأ رحلة تسريب النقود.

* * *

أسرار بيوت المنطقة كلها عند أحمد المكوجى، دائما عنده حكايات.

كان يتأمل فى الغسيل المنشور على الحبل فيعرف أن فلان مات وأن فلانة غائبة عن المنزل ويعرف أيضا مدة غيابها، ويعرف البيوت التى كان

Scanned by CamScanner

بها ليلة ساخنة بالأمس، يعرف كل هذا فقط من الغسيل.

(احتجت فترة ليست بالقليلة لأتعلم التأمل فى الغسيل)

وسميناها نظرية الغسيل

وكنا نضحك كثيرا عندما تتطابق تخميناتنا مع الحقيقة.

ففى يوم اكتشفنا أن كراميلا الحلاق فى أول الشارع يطلع لينام مع زوجة المعلم طاهر تاجر الفاكهة وكانت صغيرة فى السن.

وكانت العلامة التى ينتظرها ليصعد لها هى فوطة صفراء كانت تنشرها وحيدة على الأحبال الخالية.

قمنا بتسريب الخبر بالتدريج، وفى يوم دون أن يشعر أحد دخل المعلم طاهر محل كراميلا وطرد الزبائن كلهم وأغلق الباب عليه هو وكراميلا،

تجمهر الناس أمام المحل وهم يسمعون أصوات الصياح والضرب وتكفل أولاد الحلال بفتح الباب وشد المعلم طاهر بعيدا، بعد أن كسر كل مرايات المحل برأس كراميلا، بينما أنا وأحمد المكوجى جالسين أمام باب محله نتابع المشهد ونكتم ضحكاتنا.

* * *

Scanned by CamScanner

(١٣)

يبدو أننى جننت حبا بأمل التى قابلتها فى شقة المعلمة أم رانيا، كنت أجدنى أفكر فيها رغماً عنى كل يوم، أتذكر تنهداتها ودفء أنفاسها ولون جلدها الخمرى الرقيق ورائحته التى تشبه رائحة الياسمين، عندما ذهبت إليها مرة أخرى كما وعدتها، وجدت حجرتها مشغولة.

عليها علامة حمراء..

لم أخبىء عليك يا رامى فقد شعرت بضيق لمجرد تخيلى أنها تنام مع آخر مجهول، وأنا واقف فى انتظار دورى.. نزلت من الشقة مسرعاً رافضاً فكرة ممارسة الحب مع امرأة غيرها.

تذكرت يوم مضاجعتى لها

فقد انصهر يومها جسدانا فى قالب جديد غريب الشكل،

أصبحنا كائناً خرافياً له أربعة أذرع، وأربعة أرجل، ورأسان ..

ظللت بعد الزيارة الثانية بأسبوع أخشى الذهاب للشقة فأجد حجرتها مشغولة، ففضلت عدم الذهاب، وظل الأسبوع يسحب أسبوعاً آخر حتى مرت سنة وأنا لا أجرؤ على الذهاب . كنت أجلس وحيدا فى غرفتى وأحاول طرد صورتها من رأسى ولكننى أبداً ما نجحت.

Scanned by CamScanner

عندما قررت الذهاب مرة ثالثة لم أجدها أصلا، وجدت حجرتها عليها علامة خضراء ففتحت الباب لأجد امرأة أخرى ممتلئة، تسمرت فى مكانى لحظة ثم خرجت وفتحت الغرفة المجاورة فوجدت امرأة ثانية، ووجدت نفسى أنطلق كالمجنون أفتح باقى الغرف المتاح منها والمشغول وسط صرخات النساء اللاتى ظنن أن شرطة الآداب تهجم على الشقة، وخرجت لاهثاً بعد أن عرفت من المعلمة رانيا - التى لعنتها - أنها هربت مع زبون فشعرت بضياع وحسرة على أمل.

* * *

Scanned by CamScanner

(١٤)

توالت الأيام وأنا أجلس يومياً أمام باب الشركة من الساعة العاشرة مساءً إلى الساعة السادسة صباحاً.

كنت استلم ورديتى فى تمام العاشرة من العم حسن وأظل جالس وحيدا أراقب تحول السماء من الليل إلى النهار.

توالت أيام جلوسى ولم أكن أملك فعل أى شىء فى هذه الأوقات إلا التذكر.

تذكرت كلية التجارة وعميدها. وجيهان. وقصيدة الجيش. وتذكرت مقهى الزهرة التى خشيت الذهاب إليها مرة أخرى لأنى شعرت أننى سأجد الحاج سعيد ميتاً.

مع طول جلساتى بدأت فى تكوين صداقات مع الأشياء من حولى..

كانت هناك شجرة وحيدة مزروعة بالقرب من باب المخزن. كنت استمع كثيراً لهمسات أوراقها فى الليل. وأراقب احتضانها للعشرات من العصافير، كاحتضان الغلاف الجوى للأرض.

وجدت فى هذه الشجرة أماناً كبيراً. شجرة كبيرة وأوراقها كثيفة. ظللت أتعلق بها يوماً بعد الآخر. حتى جاءت إحدى الليالى الشتوية. كان

Scanned by CamScanner

الشارع خالياً تماما وهادئاً تحت سيطرة البرودة الشديدة، تسللت يومها منسحباً من أمام باب الشركة وتسلقت الشجرة، وتكورت على نفسى داخل أغصانها وأوراقها حتى أدركنى الفجر.

احتضنتنى الشجرة كعصفور،

احتوتنى واحتويتها،

شعرت معها بالحب الملموس..

عشقتها

أدمنت الصعود إليها، ودفن نفسى بها حتى اعتادت على وجودى العصافير،

ذكرتنى بلذة اندماجى مع أمل

كنت أرويها يوميا وأنظفها وأمسح على أوراقها بلطف

لم أعد أراقب باب الشركة

أصبحت أصعد إليها بصفة يومية

ولكنى كنت أنزل عند الفجر

دائما عند الفجر

حتى لا يرانى العم صالح عندما يأتى لاستلام الوردية.

ظللت هكذا، كل يوم، وعند عودتى من العمل كنت أدخل الحارة فى مصر القديمة تستقبلنى نسمات الصباح، وتدفق الناس لبداية يومهم، أمر على أحمد المكوجى أسلم عليه، وأصعد لأنام بعد ليلة عشق طويلة.

* * *

Scanned by CamScanner

(١٥)

فى إحدى الليالى صعدت إلى الشجرة وجلست فوق أعلى فروعها. ولم أنزل عند الفجر، راودنى إحساس غريب بأننى لا أريد النزول أبداً، فقررت أن أظل عليها، واستسلمت لنوم عميق.

جاء العم صالح لاستلام ورديته فى ميعاده ولم يجدنى، بحث عنى ولم يصل إلى شىء حتى ظن أن مكروهاً حدث لى، فاتصل بإدارة مكتب الأمن الذى نتبعه وقال لهم بعفوية إنه أتى الساعة السادسة لاستلام ورديته ولكنه لم يجدنى.

انقلبت الدنيا ولم يجدنى أحد،

بعدها بثلاث ساعات فوجىء العم صالح بى أنزل من فوق الشجرة فمات على روحه من الضحك وقال لى :

- كنت نايم على الشجرة يا مجنون يا بن المجنونة..

واستمر فى ضحك هيستيرى.

تم فصلى فوراً من مكتب الأمن لأن إدارة شركة الأدوية عندما علمت بما حدث أبلغت استياءها لصاحب مكتب الأمن وطالبته باسترداد ما يأخذه من نقود مقابل الحراسة الوهمية.

Scanned by CamScanner

حزنت جدا على فراق شجرتى وأصابنى الهم، وتوقفت عملى وسط مواساة العم حسن واعتذارات العم صالح الذى لم يكن يعرف أن الأمر سيصل إلى هذا الحد.

* * *

Scanned by CamScanner

(١٦)

اكتشفت يا رامى أننى أخاف المواجهة..
كلما توجست من أمر ما هربت منه ..
أخاف الحياة
أخاف اكتشاف الموت
دائما أهرب من إحساسى بفقد من أحببتهم، حتى لجوئى للشجرة كأنى أريد العودة جنيناً فى رحم أم..
أم لا تنجب.
حتى كلامى الذى أريد البوح به أنثره على جنيهات وأوراق نقدية وأصرفه للناس..
دون مواجهة..
اكتشفت أننى لا أتكلم
فى يوم ما بعيد لا أذكره ..
بدأت فى ملاحظة هذه الحياة
كنت أملك أحلاماً كثيرة.. أحلاماً كبيرة.. خيالية.
أشعر الآن أن كل ما أريده أن أعيش باستقرار.. لا مغامرات أو

Scanned by CamScanner

مفاجآت.. فقط باستقرار.

موظف..

يذهب إلى عمله باكرا.. يرجع قبل العصر بالجريدة. يتناول الغداء مع زوجته "ست البيت " " أم العيال " " التى سيزيد وزنها جدا بعد الزواج "..

ينام ساعة.. يستيقظ.. يشرب الشاى.. ينزل لأصدقائه على المقهى.. يرجع لينام حتى الصباح..

أريد هذه الحياة بشدة..

أصبحت أريد هذه الحياة.. بشدة.

بعد طردى من العمل عرفت أن كل مخلوق له دور محدد يقوم به فى حياته.

وأنا حتى الآن لم أدر عن دورى شيئاً.. هل حقاً كل دورى كان أن أقوم بحراسة بوابة شركة أدوية؟!

هل هذا هو دورى الذى إذا لم أقم به سيختل شىء فى الكون؟!

سيطرت علىّ هذه الأفكار

واكتئبت لفترة لازمت فيها الغرفة.

* * *

مساحة متناهية فى الصغر بالنسبة لحجم الكرة الأرضية. أجلس فيها لأستمتع بخصوصيتى التامة وأحاول رؤية باقى أجزاء العالم.. بخيالى.. هذه هى غرفتى يا رامى..

* * *

Scanned by CamScanner

(١٧)

كنت فى أتوبيس هيئة النقل العام الذى يمر بالقرب من مقهى الزهرة.

- حد عايز نعناع ؟

الشمس حمراء توشك على المغيب والأتوبيس مزدحم جدا..

رائحه العرق تسد الأنوف. وأصوات الركاب مزعجة جدا تصيبنى بالتوتر.

- حد عايز نعناع وناسى ؟!

أعطيت للبائع باكو النعناع الذى كان قد رماه على فخذى وأنا جالس. ونزلت..

نزلت قبل شارع المقهى بمحطة سرتها على قدمىَ..

دخلت إلى الشارع الذى يحتوى المقهى..

شارع صغير وهادئ كقبر.

أذهب إلى مقهى الزهرة، كنت متوجساً من أن تصيب مخاوفى ولا أجد الحاج سعيد.

المقهى تقترب، جرجرت قدمىَ وقلقى يزداد.

لم يكن جالساً على الدكة الخارجية إلا شخص واحد لا أعرفه، وعربة

Scanned by CamScanner

المرحوم كامل واقفة أمام الباب.

اقتربت أكثر حتى لمحت كرسي الحاج سعيد بالداخل خاوياً. اضطربت دقات قلبي وتسارعت خطواتي ودخلت مسرعاً..

وجدت عبد الراضي يقف في المطبخ يغسل أكواباً..

لم يتغير شيء في هيئته ولا ملامحه..

سألته بلهفة عن الحاج سعيد. فأجاب بوجهه العابس وتهتهته المعروفة:

- في مشوار.. شويه تده وهييتي.

جلست على الدكة الخارجية بجوار الرجل الغريب بعد أن اطمأن قلبي.. وعرفت أن مخاوفي ليست في محلها..

وطلبت من عبد الراضي كوب شاي.

كان الرجل بجواري متقدماً جدا في السن وصامتاً لأقصى حد. حتى أنفاسه ليس لها صوت. ولم يكن يفعل شيئاً ولا يقرأ جريدة ولا يبدو عليه أنه ينتظر أحد.

بدأت في شرب الشاي الذي جاء به عبد الراضي.

نظرت في عيني الرجل في محاولة للفت الانتباه. ولكنه ظل على وضعه لا يتحرك.

مرت ساعة وأنا جالس في انتظار الحاج سعيد. والرجل العجوز بجواري لا يدل أي شيء على أنه جسم حي إلا حركة صدره الذي يعلو ويهبط ببطء .

ناديت على عبد الراضي وسألته على الحاج. فقال لي:

- زمانه تاي ..

Scanned by CamScanner

ودخل مرة أخرى.

مرت دقيقة قبل أن يلف الرجل الجالس بجوارى رأسه ناحيتى ببطء ويقول بصوت خشن:

- انت مستنى الحاج سعيد ؟
- آه .
- يا بنى الحاج سعيد تعيش انت.

صعقنى كلام الرجل فانتفضت من مكانى ونظرت لداخل المقهى، لمحت صورة الحاج سعيد على الحائط عليها علامة الحداد السوداء، ووجدت نفسى أركض بسرعة دون أن أدفع حساب الشاى لعبد الراضى الذى كان فى المطبخ يكرر غسل الأكواب النظيفة.

* * *

Scanned by CamScanner

(١٨)

بعد هذه الزيارة، لازمت الغرفة مرة أخرى، وتكومت أحزانى.

* * *

Scanned by CamScanner

(١٩)

توفى الحاج سعيد الأسيوطى صاحب مقهى الزهرة الواقعة فى جوف شارع صغير وهادىء كقبر. (اكتشفت الآن أنى لا أعرف اسماً للشارع). لا أعرف متى توفى ولا أين دفن؟... ادعوا له بالرحمة والمغفرة ..

صديقه

ياسر فتحى

* * *

بعت الأرض التى ورثتها عن أبى..

بعتها حتى أستطيع الإنفاق على نفسى ودفع إيجار الغرفة.

خصصت خمسمائة جنيه كصدقة على روح الحاج سعيد..

مائة ورقة من فئة الخمسة جنيهات كتبت نعيه عليها. وقمت بتوزيعها على فقراء المقابر..

* * *

Scanned by CamScanner

(٢٠)

- عليا النعمه انت هتموت " أوفردوز " شاى.

هكذا يقول لى أحمد المكوجى دائما.

مرت فترة طويلة وأنا لا أفعل شيئا سوى الجلوس معه يومياً. أمام باب المحل، ندخن الحشيش طوال الليل، يظل هو يتحدث لساعات وأنا أكتفى بالسماع والضحك، أدمنت جلساتى معه كإدمانى للحشيش والشاى واعتبرتها ملاذى.

أحمد المكوجى يتمتع بفلسفته الشعبية الخاصة، فكان دائما ما يقول:

- يا حبيبى الشعب دا بيفطر فول.. ويتغدى كورة.. ويتعشى أم كلثوم.. طول ما التلاتة دول موجودين.. يبقى طظ فى أى حاجة تانية.

وفى مرة وأنا جالس جواره أمام المحل وجدته يشير لشاب فى الناحية الأخرى ويصيح له ضاحكاً:

- اتفضل يا حاج ..

فرد الشاب بصوت عال وهو يبتسم:

- بس أنا لسة محجتش .

- ليه ؟!!.. مش انت لسه راجع من شرم؟

Scanned by CamScanner

- آه ..

- يبقى حجيت يا منيل..

وضحكنا كلنا بصوت عال..

تعلقت به جدا بسبب خفة دمه ولكنى أبدا لم أجدنى متحمساً للكلام معه عما يشغل تفكيرى..

* * *

فى تلك الفترة كنت أفتح عينىّ كل ليلة تقريبا على كابوس لعين، كنت أجدنى واقفاً فى منتصف ميدان واسع وكئيب. لا أعرفه. وتظهر فجأه وأنا فى تلك الوحدة ظلالاً كثيرة فى جانب بعيد من المشهد، أرى تلك الظلال على الأرض تتجه نحوى مسرعة وكأن سباقاً قد بدأ بينها للوصول إلىّ. فاستدير وانطلق راكضاً، تظل تتبعنى بشراسة، فأجد مثلها أمامى فجأة ويندفع نحوى، انحرف يميناً.. أواجه نفس المصير، انحرف يساراً.. لقد حاصرتنى،.. ما هذا الكابوس الغبى؟ دائرة الظلال على الأرض تبدأ فى التضييق حولى.. ببطء.. وكأنها تتلذذ بمحاصرتى ومراقبة ذعرى. لا يعد فى المشهد غير بقعة مضيئة واحدة أقف عليها.. وتتضاءل، فتنسكب الظلال على البقعة المضيئة وتخفيها، أصرخ بقوة وأنا أسقط من القفزة، وأتمنى متحسراً أن تتخلى الأرض عن قانون الجاذبية اللعين.

أخذ ذلك الكابوس يحاصرنى بتكراره الغبى كل ليلة، وكأنه يفعل كما تفعل تلك الظلال الغبية التى أراها فيه..

فهربت منه بالنزول والسهر مع أحمد المكوجى ولم أعد أنام إلا ساعات قليلة جداً ومتقطعة.

فى تلك الليالى الشتوية كانت جلساتنا تنتقل إلى داخل المحل بجوار

Scanned by CamScanner

الدفء المنبعث من المكواة الجديدة.

(المكواة الجديدة)

" بخار، طرازها حديث جداً، لها طاولة ملحقة بها وغلاية يوضع بها الماء لتقوم ببث بخاره من المكواة عن طريق خرطوم صغير موصل بينهما فتقوم المكواة بنفخ البخار من الفتحات الموجودة بها على الملابس، سعرها ٣٠٠٠ جنيه، ولها دواسة للشفاط أسفل الطاولة، عندما يدوس عليها أحمد المكوجى تقوم بشفط الهواء الموجود بين قطعة الملابس والطاولة من خلال ثقوب صغيرة على سطحها".

لا يوجد بالمحل سوى المكواة التى اشتراها أحمد المكوجى بالقسط بعد أن باع مكاوى أبيه الحديدية القديمة كخردة، ومنضدة توضع عليها الملابس، وثلاثة كراسى ولوحة معلقة على حائط بها آية قرآنية وصورة على الحائط المقابل لأبو أحمد فى الحائط الجانبى، كانت الصوره تقف وكأنها تنظر لنا ليس لها ألوان، وكان أبوه يظهر فيها وهو شاب له شارب رفيع ووجهه ممتلئ.

أحمد المكوجى لا يشبه أبيه، الصورة كانت مهترئة جداً فى ركنها الأيمن العلوى، وفى أسفلها مكتوب اسم ستوديو التصوير بخط أسود جميل، ولكننى لا اتذكر الاسم الآن.

دائماً ما كان أحمد يكلم أباه فى الصورة وكأنه جالس معنا ويترحم عليه بعد كل جملة ينطقها حتى لو كان يتكلم عن أسعار الحشيش الآن وأسعارها أيام أبيه.

Scanned by CamScanner

ساعدنى أحمد المكوجى على الخروج من الحالة التى سقطت فيها بحكاياته التى كان يضعنى فيها. وكل الكميات الهائلة من الحشيش والبيرة التى كنا نشربها. ومعارفه الذين يجلسنى معهم.

ففى ليلة وأنا جالس معه قدم لى صديق له اسمه جلال، وقال إنه أمين شرطة. كان جلال هذا بكرش واسع وله شارب عريض وصلعة كبيرة فى منتصف رأسه. كنا ندخن الحشيش بشراهة فى جلسات جلال الذى يأتى لنا به بسهولة وبكثرة.

ولكننى لم ولن أنسى أول مرة جلست مع جلال. ففى منتصف الجلسة كنا صامتين ورحت أنا أتابع الدخان الكثيف الذى يسيطر على فراغ المحل، وفجأه وجدت جلال يصيح وهو يقول لى :

- أوباا.. ايه رأيك بقى فى المكنة دى؟

- مكنة إيه؟

- المكنة اللى لسه معديه دلوقتى.. أم عباية.

نظرت من باب المحل فلمحت فتاه ترتدى عباءة محبوكة على جسدها على بعد.. فقلت له :

- آه.. حلوة أوى.

- يا سلاام.. دى الواحد ميزهقش منها أبداً.. يفضل معاها للصبح .

ثم سألنى فجأه :

- انت عارف الكُفت؟

صُدمت لحظة فكرت فيها ثم أجبته :

- أنا أعرف إن الواحد لما يبقى عارف الكُفت يبقى يعنى صابع ومقطع السمكة وديلها وبارم كل حاجة.

Scanned by CamScanner

- لأ.. اللى انته بتقوله دا صح برضوا.. بس أنا قصدى على الكُفت نفسه.

- لا والله معرفوش.. أنا معرفش أصلاً إنه حاجة موجودة.

اعتدل فى جلسته ونظر لى بحماس.. ثم قال:

- أقولك أنا بقى عليه .... إنت عارف لما تقطع البصلة نصين بالطول

- آه.

- عارف بقى لما لا مؤاخذة تعصر نص منهما.. مش بينزل منها لبن كدة من بين كل ورقة وورقة.

- آه .

- آهو هوه دا بقى الكُفت.

وتراجع لجلسته الأولى وهو يتابع اندهاشى ..

- لا والله ..

- آه والله زى ما بقولك كده .... مسألتنيش وبعدين ..

- آه .

- إسألنى ..

- وبعدين ؟ ..

- آهو دا بقى تحطه فى معلقة صغيرة وتحط عليه حته أفيون.. وتسخنهم لحد ما الأفيونة تسيح فيه .

- وبعدين أشربه ؟

رد بجزع :

- لأ.. تشربه إيه.. انت كدة تروح فيها ..

- أمال أعمل بيه إيه ؟

Scanned by CamScanner

- صبرك عليا.. هتدهن بيه الطربوش.. ودا بقى يخليك تنام مع أى واحدة زى المكنة اللى عدت دلوقتى دى لحد الصبح.. ومتجبهومش .

- لاوالله .

- آه والله.. زى ما بقولك كدة..

اندهشت جداً ثم ضحكت فجأه بأعلى صوتى وأنا أقول:

- بقى انت قلت كل ده علشان شفت واحدة حلوة لابسة عباية ضيقة. أمال بقى لو كنت شفت واحدة عريانة.. كنت قلت إيه ؟!

فانفجرنا كلنا فى الضحك ..

واستمر الضحك يلازمنا مع الحشيش فى جلسات جلال يا رامى.

* * *

Scanned by CamScanner

(٢١)

ذهبت لأخى صادق بعد انقطاع ثلاث سنوات قضيتها فى غرفة مصر القديمة.

لم أزره ولم يزرنى.

حزنت جداً عندما وصلت إلى بوابه المنزل ولم أجد حوض المياه الذى كنا قد بنيناه لأبى .

صعدت إلى شقة أخى وطرقت الباب..

يومها وبخنى صادق بشدة أول ما رآنى أمامه وكاد أن يضربنى لأنى انتقلت للغرفة ولم أترك له عنوانها وقال :

- يابنى انت آخر مرة جيت أخدت فيها اللوحة بتاعتك دى، افتكرتك جى تانى.. ماهو مفيش حد يمشى كدة.

تأسفت له بشدة وأنا محرج، وتذكرت لحظتها أنى بالفعل لم أعطه عنوانى.

كانت زوجته عند أمها ومعها ابنتهما، كان وزنه زائداً جداً ويرتدى نظارة جديدة مضغوطة أقل سمكاً.. فأصبح شكله مختلفاً

- سلمى.. عندها سنة وشهرين.. أنا دوخت عليك أيام ولادتها بس

Scanned by CamScanner

معرفتش أوصلك .

عرفت منه أن ماشى تزوجت من محاسب فى بنك بعد ما تركها أحمد سالم صديقه. وعندما سألته على الحوض قال لى إنه فضل إزالته لأنه تحول بالتدريج بعد جفافه إلى مقلب للزبالة.

قلت له إنى تركت العمل وأنى بعت الأرض وأعيش الآن بثمنها.

وتحولت الجلسة بعد ذلك إلى أسئلة عن:

- بعت الأرض بكام ؟
- ناوى تعمل إيه فى باقى الفلوس؟
- يا أنا أصلا كنت بدور على مكتب الأمن اللى انته شغال فيه علشان موضوع الأرض ده... أصلى كنت بفكر فعلاً إنك تبيعها وتدينى شويه فلوس كده أبدأ بيهم مشروع. أصل مراتى اليومين دول بتزن عليا فى الموضوع ده.. علشان البنت تبقى تدخل مدارس أجنبى إن شاء الله .

أدركت يا رامى فى آخر الزيارة أن صادق لا يريد منى إلا النقود ..

لم يكن فعلاً يريد أن يرانى..

إنه حتى لم يفكر أن يقول لى إنه افتقدنى جداً أو أنه كان يريدنى أن أرى ابنته ..

ثم إنه حتى لم يكلف نفسه بالسؤال عنى فى مكتب الأمن الذى كنت أعمل فيه.. عندما ولدت ابنته كما قال بل إنه وضع الموضوع فى اعتباره عندما أراد النقود فقط .

نزلت من عنده بعد أن كتبت له العنوان فى ورقة وتركت معه سلاماتى لسلمى وأمها.

* * *

Scanned by CamScanner

(٢٢)

أتضح لى أن هناك من كان يقرأ ما أكتبه على النقود باهتمام ويتفاعل معه ..

فقد وجدت فى يوم ورقة نقدية مكتوباً عليها نص لم أكتبه.. وكان صاحبه يتساءل: من هو الحاج مجدى أمين؟

ثم وجدت بعدها بأسبوع ورقة من فئه الجنيه تحكى عليها بنت فى السادسة عشر من عمرها عن أول تجربة لها مع ولد وكيف كان شعورها عندما انزلقت يده على ظهرها برفق، ثم كانت أول قبلة فى حياتها ..

وهذه أخرى كتبت تشكو من كره أخته لها وغيرتها السوداء عليها..

وهذا يقول إنه يفضل ذوات الشعر الأصفر الخشن ..

ومع الوقت

أصبحت أجد الكثير من النصوص على النقود

كل من يحتاج إلى الكلام.. يكتب .

انتشر موضوع الكتابة على النقود فجأة، يبدو أن هذه الفكرة أعجبت البعض، فأصبحت كل يوم أكتب كل ما أجده على الأوراق النقدية فى كشكول أضعه فى درج المكتب فى غرفتى، وكأنى توليت مسئولية تدوين هذه

Scanned by CamScanner

النصوص حتى لا تضيع مع مرور الزمن عليها وتغير العملات..

وجدتني متورطاً فى حكايات الناس، أصبحت أتربص للنقود التى تقع فى يدى وأفتش فيها عن أى كلمة مكتوبة، وأوصيت أحمد المكوجى إذا وصل إليه أى نقود مكتوب عليها أى شىء أن يبدلها معى.

هناك من يكتبون أسماءهم وأرقام تليفوناتهم فقط .

وهناك من يكتبون تفاصيل كثيرة بلا أى خوف من انتشار الأسرار ..

لاحظت أن كل من يكتبون يعانون مثلى من أشياء تنغص عليهم حياتهم، أو أزمات، أو أمراض نفسية، فجعلوا هذا متنفسهم .

فتاه أخرى تقول إنها متدينة، ومتوسطة الطول، وجميلة، وتقدس الحياة الزوجية، وتبلغ ٣٤ عاما – ميسورة الحال، وتركت رقم تليفونها منتظرة اتصال ابن الحلال.

ملأت ثلاثة كشاكيل كبيرة بالنصوص، وأدون الآن فى الكشكول الرابع..

الناس تحتاج إلى الكلام بحرية يا رامى ..

* * *

Scanned by CamScanner

(٢٣)

الحاج مجدى أمين هددنى بالطرد.

صحوت من نومى من أسبوعين على صوت خبط شديد على الباب وعندما فتحت. وجدته أمامى. قال لى إنه سيتزوج من بنت تصغره فى السن " بنت بنوت ". وإنه يريد أن يهديها الغرفة لتربى فيها فراخ ..

استنكرت ما سمعته وقلت له :

- يعنى انت يا حاج بتمشينى علشان تربى فراخ !!

- بصراحة كده العروسة هى اللى طلبت منى الأوضه وأنا مش عايز أرفض لها أول طلب لتزعل ... دلع عرايس بقى .

- إزاى يعنى ؟!

- هوه إيه اللى إزاى ؟.. زى ما بقولك كده ..

ظللت لمدة نصف ساعة أحاول إقناعه بالتخلى عن قراره ولكنه استمر فى العناد، وعندما عرضت عليه أن يزود الإيجار٥٠ جنيها، قال:

- كده ماشى ..

ثم ضحك ضحكة بغيضة وكرر :

- كده ماشى .

Scanned by CamScanner

(٢٤)

الحاج مجدى أمين ابن وسخة.. هذا ما ظللت أكتبه على النقود لفترة طويلة ولا أوزع غيره ..

* * *

Scanned by CamScanner

(٢٥)

كل الأشياء الجميلة والسيئة تتسرب من حولى ..

هذه هى مشكلتى..

كأنى ملعون..

أو إنسان خالد ..

يعيش للأبد ويراقب ولاده وموت الأشياء من حوله، وهو ثابت كأنه منفصل عن الأحداث ..

فقط يشاهد ..

لعنة ..

كلهم ذهبوا يا رامى ..

كامل

جيهان

أمى

أبى

ماهى

أمل

Scanned by CamScanner

الشجرة

الحاج سعيد

الحوض

صادق

منهم من ذهب بالموت. ومنهم من تاه فى مسارات الحياة المختلفة.

وأنا ..

ياسر فتحى العيسوى ..

فرد الأمن ..

أجلس فى غرفتى.. وحيداً، أحاول أن أحرس نفسى من الذهاب بعيداً عنى .

أحاول بكل جهدى ..

* * *

Scanned by CamScanner

(٢٦)

كانت هناك بنت، لم تذكر اسمها، وحيدة جداً، فى الثالثة عشرة من عمرها، كتبت على جنيه لنفسها فى عيد ميلادها " كل سنة وأنا طيبة".. عندما قرأت ذلك صعبت على هذه البنت جدا.. وقلت لها على النقود.. " وانتى طيبة" .

* * *

Scanned by CamScanner

(٢٧)

دائما يا رامى ما أحسد الكواكب والنجوم على هذا التحليق الذى تـنعم به، مسارات وأفلاك وحيز لا نهائى.

أحسدها لأنها تعرف دورها فى الحياة بكل تفاصيله وتلعبه بكل دقة.. كلها تعرف مصيرها وتعرف نهايتها .

انقطعت لمدة ثلاثة أيام عن جلسات أحمد المكوجى قضيتها فى الغرفة..

كنت مستلقياً على ظهرى فوق سريرى أحدق فى السقف.

دهان سقف الغرفة به تشققات كثيرة جداً بفعل حـرارة الـشمس التـى تظل أشعتها فوقها طوال النهار، فى نهارات الصيف الحارة .

أتذكر كلما نظرت للتشققات شكل الأراضى الطينية عند جفافها تماماً.

وأشعر أن غرفتى بها أرضان ..

واحدة تحتى ..

والأخرى مقلوبة فوقى تنظر لى ..

إن حجم عقل الإنسان الذى يوحى له بأنه قادر على تسيير الحياة كما يريد لا يُذكر بالنسبة لحجم الكرة الأرضية، وحجم الإنسان واعتزازه بنفسه لا شىء بجانب الحجم اللا محدود للكون .

Scanned by CamScanner

حصوة صغيرة على جبل.. بالضبط حصوة على جبل.

ولكن عقله الساذج يجعله يظن أن الكون خُلق له وحده، من أبعد المجرات إلى أدق تفاصيل الذرة.. فى خدمته.

هذا الإنسان الذى يتحول إلى عصفور مبتل فى ليلة باردة أمام أبسط كارثة من الكوارث الطبيعية.

قطع تفكيرى صوت رجرجة المياه فى البراد الذى كان سطحه قد التهب لدرجة الإحمرار، وتبخرت منه أغلب المياه، فقمت مسرعاً، أطفأت الشعلة، وصببت الماء فى الكوب الذى كنت قد وضعت فيه السكر والشاى مسبقاً، وبدأت فى التقليب.

دائماً أقوم بتقليب الشاى بالملعقة الصغيرة وأستمتع جداً بإزالة دوامة الرغاوى التى تتكون فى منتصف سطح الشاى الدائرى، نفضت الملعقة حتى تتطاير الرغاوى من عليها، ثم وضعتها على حافة المنضدة.

دائماً يا رامى على حافة المنضدة، أعطيك كل ما فى جيبى الآن إذا رأيت أحداً فى يوم ما يضع ملعقة صغيرة فى المنتصف.

حملت كوب الشاى وجلست.

جلست مرة أخرى لأرسم أنغام الموسيقى، وأمسك ذرات الهواء ..

جلست لأحاول الوصول إلى أجمل معانى الأمور وتزيين أدوات الحياة..

جلست لأبحث فى الكون الواسع عن حلول الألغاز، ومعرفة أحوال من غابوا عنا ..

جلست ..

وعرفت أنه لا فائدة من العزلة والوحدة والانغلاق، وشعرت أن جسدى تحول إلى علبة فارغة.. مجرد علبة فارغة.

Scanned by CamScanner

إنسان فقد حواسه الخمس..

فقررت النزول، وهجر غرفة السطوح.

فتحت الثلاجة، أخرجت منها بنطالاً وقميصاً نظيفين، ارتديتهما دون كيهما، ونزلت تاركاً كوب الشاى دون أن أشرب منه شيئاً.

* * *

على عتبة الغرفة وجدت طوبة ملساء فى حجم العصفور، رفعتها، فوجدتها ناعمة جداً تملأ كفى، وضعتها فى جيبى، ونزلت بهدوء.

خرجت من الشارع إلى شارع أكبر ومن الشارع الأكبر إلى شارع آخر ومن الشارع الآخر خرجت من مصر القديمة، ظللت أمشى حتى وصلت لنقطة بعيدة، أخرجت الطوبة من جيبى، رميتها على الأرض، وركلتها بحذائى إلى الأمام، أسير بضع خطوات لأركلها مرة أخرى، لازمتنى هذه العادة منذ صغرى ... كلما سرت وحيداً مارستها.

شعرت لحظتها أنى احتاج للكلام بشدة.

أنظر للطوبة..

الإنسان بطبعه متكلم ..

أركلها..

حيوان ناطق له لغة، خلقها ليتحدث بها..

نظرت أمامى.. لم أجد طوبتى ..

الكلام ضرورة.. ضرورة قصوى..

أستمر فى المشى دون أن أحاول النظر للخلف أو العثور على الطوبة.

* * *

عندما رجعت فى المساء، قابلت أحمد المكوجى الذى قال بعتاب:

Scanned by CamScanner

- أنا شوفتك وأنت نازل الصبح.. ندهت عليك مسمعتنيش وكنت واخد فى وشك وماشى.. مش كفاية بقالك تلات تيام منفضلى.. على العموم ..

(أخرج مظروفاً من لفافة ورقية كانت فى ركن المحل) :

- ده كارت دعوة فرح ابن عمى.. لسه جايبه من المطبعة دلوقتى.. أنا كنت عايزك علشان كده.. الفرح الأسبوع الجى ..طبعا لازم تيجى.. أسهلك.. أنا وأنت نروح من هنا مع بعض .

شكرته ووعدته بالمجىء وأخذت منه المظروف .

كان مكتوباً عليه من الخارج .

{ الداعى.. العريس إبراهيم السيد }

فتحته. فوجدت الصيغة المكتوب بها الكارت كالآتى :

جلست شهرزاد تروى كعادتها كالمعتاد.. بلغنى أيها الملك السعيد ذو رأى الرشيد أنه أصدر هناك فرمان مسحور من الباب العالى يقول إن السلطان يدعو بإقامة الأفراح والليالى الملاح فجمع الزهور والطيور على جبل القمر ليدعوكم لحضور ..

حفل عقد قران

الأمير الأميرة

إبراهيم A

الحاج الحاج

السيد سالم جدال شكرى

فى ليلة من أجمل ليالى العمر

قاعة أهل العروسين

Scanned by CamScanner

بدعوة الأهل والأصدقاء لحضور هذا الحفل مساء يوم الاثنين الموافق ٢٠٠٨/٦/٢٠ .

شارع سيد عزام من ش السلام من ش عمر بن الخطاب – إمبابة.

*الداعى إخوات العريس أحمد السيد * حمو السيد*

ضحكت بشدة من الصيغة المكتوب بها الكارت وقررت تلبية الدعوة لعلى أُزيح عن نفسى هذا الضيق المسيطر على .

* * *

Scanned by CamScanner

(٢٨)

- إحنا بنصبح ونمسى على الفرانين .... يعنى خبازين النعمه .... يعنى اللى يكرهنا يعمى ...

والجزارين ... الجزاريين .... يعنى السلاح الأبيض .... يعنى نقطة الدم الحمرا ...

والأهوجية.... يعنى تجار الميه السخنة.. تجار.. المية.. السخنة ....

وسواقين النقل... يعنى رخصة الدرجة التالتة... عفاريت الأسفلت...

وسمعنى سلام (طيز- لِمنى) ليه ؟ أمه أنته حبيبى ...

ذهبت الفرح مع أحمد المكوجى كما اتفقنا، كانت ليلة مزدحمة جداً وصاخبة جداً، كان هناك مسرح منصوب فى منتصف الشارع مباشرة، يجلس عليه العريس والعروس فى "الكوشة" .

صعدت إلى المسرح راقصتان أولاهما كانت بدينة جداً، والثانية كانت " ملفوفة "، ولكنها فى نظر أحمد المكوجى وأقاربه كانت عود فرنساوى تمام.

قام كل الشباب ليرقصوا بالأسلحة على الأغانى الشعبية التى كان يشغلها ال"D.J." الذى كان عبارة عن جهاز كمبيوتر موصل بسماعات كبيرة .

Scanned by CamScanner

لم أرك فى الفرح يا رامى ..

ظلت جالساً بهدوء أشرب البيرة وسجائر الحشيش التى يناولنى إياها أحمد المكوجى بلا انقطاع .

أصابنى هياج شديد عندما رأيت فتاة ترقص بعنف أمامى. رشقت عيناى فى لبونة خصرها وتموجات بطنها أمامى.

وعندما وجدتنى أنظر إليها باهتمام اقتربت وغمزت لى وقالت وهى تضحك بمرح :

- بُص .... بس مش هتشبع .

فوجدت نفسى أقول لها :

- يعنى مفيش حاجة علينا ؟ ..

فمدت لى يدها اليسرى لترينى الخاتم فى إصبعها وقالت وهى تبتعد فى حركات راقصة :

- لا يا حبيبى ... كان فيه وخِلص.

ظللت أتابعها بعينىَ لمدة ظننتها قصيرة ولكنى فوجئت بأن الفرح قارب على الانتهاء ..

فجأة..

صمم أحمد المكوجى فى آخر السهرة أن يصطحبنى معه فى جلسة خاصة مع الأصدقاء والأحباب ..

- يا عم دى قعده مش هتتعوض ... وفى حشيش وبيره ومَزة وكل اللى نفسك فيه ..

- تانى ؟! ...

- آه يا عم تانى وتالت ورابع وعاشر.. تعالى اطلع معايا.. دى هتبقى

Scanned by CamScanner

ليلة فُل ..

وقبل أن أرد عليه. وجدته يسحبنى من يدى. وسرنا وراء ثلاثة آخرين. صعدنا عمارة فى الشارع المقام فيه الفرح. ودخلنا هذه الشقة التى نجلس فيها الآن يا رامى .

* * *

Scanned by CamScanner

(٢٩)

دائما أتذكر ذلك الإمبراطور الصينى القديم الذى أمر بقتل كل الذباب فى إمبراطوريته. ورصد هدايا ثمينة لمن يأتى بأى عدد من الذباب الميت. فتسابق الناس فى قتل الذباب وتجميعه. وبعد إفنائه كله. ظهرت أوبئة وأمراض قاتلة للإنسان .

لذلك تعلمت أن أحب كل الأشياء حتى لو كانت كريهة..

فلقد تطورنا فى هذا الكون لنخدم بعضنا البعض ...

كله فى خدمة الآخر..

القتلة والأطفال. والحمقى والعباقرة. والحكماء والمستهترون. والمنطوون والصعاليك. والسفلة والنبلاء. والنساء والرجال. والأشجار. والأحجار. والحيوانات. والسماء والأرض. الماء والنار. والتراب. والهواء. والجبال. والحشرات .

كلنا فى تجانس.

لذلك يا رامى لا أكره أمثالك كما يفعل المجتمع وإن كنت معهم فى هذا الكره! لأنهم لو تعاطفوا لما وُجِد الجلاد الذى يعاقب القتلة. ولا تواجدت الاختلافات الرهيبة التى تتجاور لتخلق لنا كوناً فى

Scanned by CamScanner

غاية الانسجام.

قبل الفرح وأنا فى طريقى، رأيت ولداً صغيراً يمشى مع أبيه وأمه اللذين انشغلا فى حوار حاد بينهما، بينما الولد يدندن تلك الأغنية الشعبية:

- شرب الحشيش مزاجوا عالى والراجل اللى هييجى ويكرس.

لم تسترح أذناى لسماع هذا الكلام من طفل صغير، وتأكدت أن هذا الولد سيشرب بمنتهى البساطة، وأنه ليس بعيداً أن يصاحبنا فى المستقبل فى أى جلسة حشيش كالتى نجلس فيها الآن، وليس بعيداً أيضاً أن ينفتح له قلبى وأحكى له الكثير عن حياتى وأنا لا أعرف عنه إلا اسمه كما حدث معك الآن يا رامى.

(رامى)

عاطل، عمره ٢٧ عاماً، دائماً مسطول، لا يفيق أبداً من تأثير أنواع المخدرات المختلفة التى يتعاطاها - وطبعاً لم يستوعب أى شىء - من إمبابة، وهارب من ثلاثة أحكام سرقة بالإكراه.

لقد حكيت لك عن سوء حظى الدائم، ولكننى مازلت أحمل بداخلى أملاً كبيراً فى أن تتغير الأحوال.

يقول العلماء إن درجات الحرارة فى تزايد مستمر لأن العالم يعيش فى حالة احتباس حرارى، ويتوقع المتشائمون منهم أنه بعد خمسين سنة من الآن سيذوب القطبان الشمالى والجنوبى، وستغمر

Scanned by CamScanner

المياه سطح الكرة الأرضية، وستغرق كافة المدن الساحلية وتختفى، وسيظهر شكل جديد للبلدان وتتغير الخرائط. لعلها يا رامى ستكون بداية جديدة.

* * *

Scanned by CamScanner

المؤلف

من مواليد طلخا – الدقهلية ١٩٨٦
تخرج فى كلية الفنون الجميلة جامعة حلوان ٢٠٠٨ – قسم النحت بترتيب الأول.
يعمل فنان تشكيلى متفرغ، ويعيش فى القاهرة، وله العديد من المشاركات الفنية والمعارض.

صدر له:
رواية " call me " عن الدار العالمية للنشر والتوزيع ٢٠٠٩.
البريد الإلكترونى و الموقع الإلكترونى

info@alaaabdelhamid.com
www.alaaabdelhamid.com

له تحت الطبع:
ولد يرتدى عقله وينتظر على حافة الإقتناع – رواية.
آخر العالم – مجموعة قصصية.

Scanned by CamScanner

الأعمال الكامله
t.me/kotbhm

مساحة متناهية فى الصغر بالنسبة لحجم الكرة الأرضية، أجلس فيها لأستمتع بخصوصيتى التامة وأحاول رؤية باقى أجزاء العالم.. بخيالى .. هذه هى غرفتى يا رامى..

ميريت

Scanned by CamScanner